

دار ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني

ومضات إشراقية

تأليف دكتور: عمرو محمد السيد

تحت إشراف الكاتبة: فاطمة محمد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، اخي الحبيب، هذه خواطر قلبية ألبستها رداء الدين والعلم وأخلاق الصالحين، والتمست من فهمي لكلامهم ما عبرت عنه لك بكل محبة وصدق، فقد شملتها بوعظ ورؤية فكرية، وتحفيزات نفسية، خرجت من قلبي وعقلي، وأتمنى أن تلامس قلبك، اشتملت على كلمات أردت بها أن تحببك في الكتاب والعلم والقراءة، وأسميته [ومضات إشرافية] كلمات تبعث لك وميض يضيئ طريقك في الحياة، ويبعث ضوء شمس العلم في قلبك وروحك، وكما عودتك سابقاً أن أقول لك: (لا تستهن وتستصغر هذا الكتاب، فهو وإن قل حجمه، فقد عظم قدره وتلاأت كلماته، فهياً بنا نساfer إليه).

- أقول لك، هناك أربع ساعات إياك أن تغفل عنهم :
- الساعة التي تتحدث فيها مع ربك.
 - الساعة التي تحاسب فيها نفسك، وتراجع فيها علاقاتك مع والديك وإخوتك وزوجتك وأولادك وأصدقاءك.
 - الساعة التي تجلس فيها مع صديق فيخبرك عن عيوب نفسك ويرشدك وينصحك.
 - الساعة التي تختلي فيها بنفسك فتأمل في نعم الله عليك، ويتطلع قلبك على سير الصالحين والناجحين.

الدنيا دار لمن لا دار له، ومال لمن لا مال له، فترى من يجمع لها المال وهذا لا عقل له، ومنهم من يجرى ويطلب شهواتها وهذا لا فهم له.
إنما المسلم الحق يعلم حقيقة الدنيا، وأنها ليست داره وإنما داره الحقيقية هي الآخرة، وأن الدنيا ما هي إلا أرض تغرس فيها أعماله، ويجني ثمار زرعه في الدار الحقيقية.
فتكون الدنيا في هذه اللحظة، هي دار الممر الآمن لك لدارك الباقية .

الليل والنهار محطات قطار عمرك، تمر عليها كل يوم حتى تصل إلى نهاية المحطة، ويقف قطارك فتنزل إلى دارك، فهل أخذت معك طول هذه المحطات الزاد الذي يعينك في سفرك الطويل، فهناك لا زاد ولا ماء ولا صديق ولا أخ. الكل يردد نفسي، نفسي، وأنت يا مسكين، هل تستطيع أن تقول نفسي نفسي؟ أم أنك أضعت نفسك عندما ضيعت حقوق الله وإذ بالموت يفاجئك، ويأخذك إلى بوابة المحاسبة، مفلس، ضائع، بلا سند ولا رفيق ولا رصيد عمل يوزن لك. ليس لك إلا طلب العفو والمسامحة .. فاستغل وقت وقوف القطار في كل محطة من محطات عمرك، فتدخر رصيد تعبر به إلى بر الأمان.

غناك الحقيقي، ليس في جمعك للمال، فكم من حقير هو من أغنى الناس، إنما غناك الحقيقي هو قيمتك ومعناك في نفوس الناس، فلن تحصل على السعادة الحقيقية والدائمة بما تمتلكه من المال.

فالحياة الثرية هي نتاج القيمة والمعنى، فكثير من أصحاب الأموال الكثيرة يفتقدون السعادة ويبحثون طوال عمرهم على مكانها ، ولا يعلمون أن مكان سعادتهم ليست في البنوك المالية، إنما في البنوك الروحية، كن غنيا كما تشاء ، لكن قبل أن تفكر في جمع المال، يجب عليك أن تكون صنعت قيمتك وقيمك ومبادئك ومعناك .

كل فنان في فنه نموذج فردوسي مفقود يبحث عنه، بما يراه مناسبًا لترتقي
روحه في عالم الأرواح، وكل ما يصل إلى مقام يكون بدايته للسير إلى مقام آخر
أكثر رقي
فالموسيقى قانون فطري، فهي لب النظام الكوني، فالتسبيح نوع من أنواع
الموسيقى التي تخاطب الروح، وتثير المشاعر.
دقات قلبك موسيقى لها لحن لو تغيرت دقة من دقاته ، اختل النظام الجسدي كله،
فالكون كله منشأة موسيقية صامته ومسموعة.

المرء إذا خاف من شيء، طلب العون والمساعدة من أقرب الناس إليه، هذه تسمى "الاستعاذة"، فكلنا دائم العوذ والاحتياج إلى الآخر، والقليل منا من يستعيذ بالله، أغلبنا يظن أن الاستعاذة لا تكون إلا من الشيطان، كما تعلمناها [أعوذُ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ].

يا أخي لا تكن ضيق الأفق، بل تعوذ بالله من أكل الحرام، وتعوذ بالله من ظلم الناس والضعفاء، وتعوذ بالله من ارتكاب المعاصي، وعدم التوفيق ف العمل والدراسة.

اجعل ربك هو ناصرك ومعينك، اركن إليه فهو قوتك وركنك الشديد، استعن به ف تطهير قلبك، فإن الأمراض والفتن تكاثرت على قلبك، وقد أعْي دوائها وتعذر شفاؤه وعمّ بلاؤها، فاطلب من ربك يطهر قلبك وضميرك من حب الدنيا، فإن حبها رأس كل خطيئة وأصل كل بلية. واسئِ ربك العلم النافع والعمل المتقبل والتوفيق والسداد في كل أمور حياتك.

قال تعالى: [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] (سورة البقرة: ٢٦٨).

اعلم أخي، أن الشيطان له غاية وهدف لا ينسأه أبداً، لم ينس وعده الذي أخذه على نفسه أمام ربه (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص: 83]. فهو في جهاد دائم إلى أن تنتهي الدنيا، وجهاده هو الإغواء وتضليل أولاد آدم وأن يمنعهم الاجتهاد والعلم والعمل والجد، فيوسوس في قلوبهم باليأس والحزن والخوف من المستقبل والخوف على ضياع المال. ويعدكم الفقر بأن يوسوس لك بأن إنفاقك للمال وإعطاؤه للفقراء وفتح أبواب الخير للمحتاجين، ينقص هذا المال وكثرة إنفاقه تعرضك للفقر لا محالة، ويحكم عقلك في هذه القضية التي يشغب بها على قلبك، فتمنع حقوق الفقراء وينسيك نفسك وربك، بل وتغضب ربك وتنسى منه عليك وإفضاله وإحسانه، فإذا هممت بطاعة فافعلها قبل أن يلقي الشيطان على قلبك ألف باب يمنعك به عن فعلها، وإذا هممت بصدقة فأنفقها قبل أن يخوفك ويلقي في قلبك أن إخراج هذا المال سيصيبك بالفقر في مستقبلك فتمنعه في حاضرِك.

كلنا نتمنى أن نعيش في الدنيا سعداء وعند الموت ندخل الجنة ونحن من السعداء أيضاً، ولكن هذه المعادلة صعبة، لأن الوصول إليها يتطلب تضحيات وجهاد الشهوات وجموح ميول النفس، فليس كل ماتطلبه تحصل عليه، بل يكون بالتفكير والتدبر في اختياراتها وما هو الأصلح لها، وذلك لا يكون إلا بالعون من الله سبحانه وتعالى، والقرب منه عزوجل حتى يرزقك التوفيق في حياتك وأيامك التي تنتقل منها إلى الدار الباقية.

ولكي تستطيع أن تتقرب من الله، لا بد أن تعرفه وتتعرف إلى صفاته فتعلم أنه حكيم في جميع أحكامه، رحيم في كل قضائه، ودود في كل نداءاته لعباده، فكل شئ طلبه منك لك فيه مصلحة، قد تظهر لك وقد تغيب.

ولكن كل ما عليك أن تثق فيه وفيه أوامره ونواهيه، حتى ولو لم تعلم الحكمة منها، عندئذ يرزقك البصيرة فتستطيع أن تميز بين الحق والباطل، وبين الجميل والقبيح.

وهنا تكون قد عرفت أول الطريق، فتمسك به وتسير فيه، وتعمّر الأرض وتملئها خيراً، فساعد الناس وخذ بأيديهم، وكن عوناً لإخوانك، و بث في قلوبهم الأمل والمحبة والسلام والعفو، فتنعم أنت بالسلام الداخلي، وتسعد الآخرين، وتسعد أيضاً برويتك لثمار عملك.

جاء في ترجمة (الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه): «وكان حليماً». وحتى تستيقن من حلمه؛ فاقراً كم هي الطعون القاسية فيه، وكم ظُلم، وأصابه الأذى حتى مات رحمه الله. ومع ذلك كله: لا تكاد تجد روايةً صحيحةً أنه قد تكلم في أحدٍ وطعن فيه، ولم يتفرغ لذلك، ولكن كان إنتاجه العلمي المُبهر خيرَ جوابٍ! إنَّ مَنْ عرف وجهته، وأحكم رسمَ خطِّته، وطلب من ربِّه هدايته ونأى بنفسه أن يقف عند كل حجرٍ يُلقى إليه، لأنه يؤمن بأنَّ الطريق طويل، والعمر قصير، والغاية أسمى وأنَّ عاقبة الصابرين الجنة، ونعم دار القرار، وهكذا تكن نفوس العظماء، فتأمل!

توليد (المعاني) الشريفة، ثم كساؤها بـ(الألفاظ) المُنيفة = صَنعتان مختلفتان، لا يُؤتاها إلا القليل من الناس؛ ممَّن جُمع له:

- حسن النَّظر والفكرة من خلال السياحة في العلوم والمعارف طريفها وتَلِيدها.
- وإشراقه البيان بما يكتنزه من ذخائر لغوية.

إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيْكَ:
 لَا تَتَعَجَّلْ فِي نَشْرِ كُلِّ مَا يَعْزُّ لَكَ، وَيَعْرُضُ عَلَيْكَ، مِنْ سَوَانِحِ الرَّؤْيِ الذَّهْنِيَّةِ
 وَالْخَوَاطِرِ الْفِكْرِيَّةِ، فَرُبَّ (خَاطِرَةٍ) كَانَتْ فَاقِرَةً!
 إِنَّ الْكَلِمَةَ مَسْئُولِيَّةٌ دِينِيَّةٌ، وَأَمَانَةٌ عِلْمِيَّةٌ؛ فَارْعَاهَا حَقَّهَا، وَأَعْطِهَا مَسْتَحَقَّهَا؛ لِتُؤْتِيَ
 أَكْلَهَا؛ فَتَحْيِيَ بِهَا قُلُوبًا، وَتُنَشِّطَ بِهَا هِمَمًا، وَتُشْحِذَ بِهَا عُقُولًا.

العلم أولاً .. العلم أبداً:

- من المعاني التي لا أمل من تذكير من حولي بها: أن حملك لـ هَمّ الأمة، والإحساس بالمسؤولية تجاه الأمة فضيلة، وإحساسك بما يقع في نخاع الأمة من نخر وضياع وفرقة فإنه كنز، حتى وإن حاول البعض سلبه منك. فالمشتغلين بالدنيا وجمع حطامها وملء بطونهم، فإني أحذرك من أن يُقعدك ذلك عن التعلّم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .
- فقد ذكر الدكتور السيد محمد بدوي في مقدمته لـ (دستور الأخلاق في القرآن للدكتور دراز) لفظة مهمة، وإني لأجدها من إشارات التوفيق التي ينبغي استحضارها في هذه الأزمات العاصفة، يقول عن ظروف تأليف الكتاب:

«وأذكر أنه اضطر -أثناء هجوم الحلفاء لتحرير فرنسا- لقضاء أيام طويلة مع أسرته في مخبأ تحت الأرض: كان يجمع فيه أوراقه التي يحرص عليها، ويشغل وسط

القنابل التي كانت تدوي من حوله، على ضوء شمعة أو مصباح خافت». هذه همة عظيمة نتعلم منها، ألا يمنعك حزن ولا خوف عن التعلّم والقراءة والبحث، لأن نفسك إن تعودت على التراخي، أصابتك بالشّلل والتعوق العقلي عند أدنى طارئ، وقلّ أن يفلح من هذا حاله، ويسلم منها إن عرفت الطريق وتعودت عليه.

- وأذكر قصة معبرة للعالم مظهر الدين الزيداني، المتوفى عام (727/هـ)، حيث شرع في كتابه [المفاتيح في شرح المصابيح] بتوسّع في تبيان الغريب، واختلاف النسخ، وعرض المسائل الفقهية؛ حتى بلغ الحديث رقم (1199)، ثم هجم عليه همٌّ غالب، وحزن مقعد، لكنه استمر بما تيسر له، فخفّ نفسه ولم ينقطع، ويقول:

«ليعلم زمرة إخواني، وثلة خلصائي: أني قد شرطت في أول الكتاب؛ أن أورد كل حديث من أحاديث هذا الكتاب مكتوباً بالحمرة، ثم أشرح ذلك، ثم إنني لما

رأيت غلبة الكفار على المسلمين، وسمعت بواقعة أمير المؤمنين، تكدر زمانني، وتحير جناني، وترجل قوتي وفرحي، وتوطن غمي وترحي.

وعلمت أن هذه الواقعة من اقتراب الساعة، وأيقنت أن الوقائع تصير أضعافاً مضاعفة، فهملت أن أترك التصنيف والتدريس طراً، وأطوي في البكاء عمراً، ولكن خفت رب العالمين أن أترك ما استطعت إظهار الدين، فإن هذا مما يفرح به الشيطان اللعين .

فحوّلت ورددت كلمة الاسترجاع، وأقبلت مع امتلاء قلبي من الجراح والأوجاع إلى إتمام الكتاب، واستعنت فيه من الله الوهاب، سالماً سبيل الاختصار، بأن أترك كتابة لفظ "المصابيح" بالحمرة، وأورد منه ما يحتاج إلى الشرح، من غير أن أترك من الإشكالات شيئاً، والله الموفق والمرشد». (2)

ثم أكمل شرح الحديث الذي يليه.

وقد رأيت فئات من خيرة الشباب استخفوا الحديث، واستثقلوا العلم، وصارت مجالسهم مدعاة لليأس والحزن والبطالة، ومع الوقت فقدت أحاديثهم نكهة العلم، وصاروا عواماً يرددون إنشائيات مستهلكة، واستمروا في تتبع صراعات التيارات حتى مضى العمر، وانطفأ وهج العلم فيهم، واشتغلوا بالقليل والقال ومجالس الغيبة المشرعة .

• قال ربيعة -شيخ الإمام مالك- :

«لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه».

وهل هناك ضياع أكبر من أنك تُضيع تحصيل ومذاكرة العلم، والاشتغال بأمور لا تتفعل في دنياك، ولا تعمر بها آخرتك؟!!

طلب العلم يبدأ من أول ما تنتهي من درجتك العلمية الأكاديمية، لأنك أثناء طلبك للعلم الجامعي، تكون مرتبط بالكتاب المقرر لك وب عقلية المشرف على تعليمك سواء كانت مؤسسة أو أستاذ أو دكتور جامعي، وعندما تتخرج من الجامعة، هنا تصير طالب علم بحق، لأنك ستصبح حرًا، ستبحث وتقرأ وتكتب وتذاكر بإشراف من عقلك وفكرك وتوجهك، ومهما طال بك العمر والزمان وصارعتك الأزمات وعطلت العقبات، فإياك أن تترك قلمك، فأكتب وإن شلت يداك، و مادام قلمك في يدك، فلا تضعه إلا حين يسقطه الموت من يدك، فإن فعلت ذلك فقد أجدت وحسنت خاتمتك.

فما القلم في يد طالب العلم بأقل من السيف في يد المجاهد في سبيل الله، كلاهما يريد رفعة الأمة ونصر الإسلام إذا صلحت نيتهما، واحذر أن تنشغل بمدح الناس فيك، فما كلام الناس عنك بالخير، يرقبك عند رب الخير، وما كان كلامهم عليك يحط من قدرك عند ربك المقامات. فانشغل بصلاح نيتك ودر بها على الإخلاص، فتكون هي مشكاة الخلاص لك عند رب العالمين، وبها تلحق بركاب أهل الإخلاص.

قدرتنا على أسر قلوب الآخرين وكسب محبتهم الصادقة، هي منحة من الله عز وجل ودليل على محبة الله لك، لذلك وجب أن تشكر ربك على هذه المنحة العظيمة، وشكر هذه النعمة.

أن تكون في عون الآخرين وتخفيف أوجاعهم قدر استطاعتك، ولو بكلمة صبر واحدة، هذا يمنحك جانباً كبيراً من متعة الحياة، تحدثك إلى الناس بما يستمتعون باستماعك ، لا بما تستمتع أنت بحكايتهم وهذا من فن الحديث.

رمضان شهر الهمة والعمل، لا شهر الخمول والكسل.
 ففي رمضان تحرك، انجز، تزود، استثمر دقائقه الثمينة، قرآنك معك أينما
 رحلت، اجعل لسانك لاهجاً دائماً بتلاوته، خذ الوقت أخذ اللص، واسرقه واختمس
 فوائده بالطيب أو التطايب، ولا تتعلل بالأمانى، فإنها مطايا أحاديث النفوس
 الكواذب. وغالب الناس الآن يعيشون في هذه الأمانى الكاذبة، وصار انشغال
 الناس بالجزئيات، والأمة تجتث من تحتها جذورها، والناس في غفلة وسبات
 عميق، لا يعلم أحد متى سيفيقون؟. وهذا من أعظم الخيانة للإسلام وللمنهج
 الرباني الذي كلفنا الله بحمله، فلنرجع إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى، بتطبيق
 الخلق المحمدي ونشره في كل معاملتنا ونهتم بكليات الإسلام، وهو إصلاح
 القلوب التي بها نجاة النفوس .

إذا نظرت حولك جيداً، سوف تجد أن التحدي الأكبر والحقيقي في هذه الحياة، هو أن تغير نفسك وتصبح الشخص الذي تريده، وهذا لا يكون إلا باستغلال طاقتك وإمكانياتك. ابحث بداخلك عن الكنز المفقود، اكتشف ما يمكن أن تتميز وتبدع به، كل إنسان في هذا الكون يمتلك مهارات وقدرات تميزه عن غيره، فإبداع الله في كل إنسان مميز عن الآخر، فإبداع الله لا يحويه مكان ولا زمان، فقط ما عليك هو أن تكتشف تلك الصفات والمهارات، واعمل بكل طاقتك على تطويرها، جرب طرقاً جديدة للنجاح، غامر بلا مجازفة، واترك منطقة الراحة التي ركنت نفسك إليها.

فهذه المنطقة لن تجعل منك إلا شخصاً كسولاً لا يقوى على العمل، فلن تجد شخصاً كبيراً وتفوق إلا بالتجربة والمجازفة والتدريب، والإصرار والعمل، والالتزام والتجربة، والفشل والركض خلف أحلامه، دون كلل ولا ملل. أرايت رسول الله كيف تحمل المتاعب و المشقات، كيف هاجر من مكة إلى المدينة؟ ليحقق حلمه وينفذ دعوة ربه؟ بأن ينشر التوحيد ويرد الناس إلى رب العباد فيعم السلام والسكينة في أرجاء الأرض، جاع فربط الحجر على بطنه ليسكن جوعه، أكل أوراق الشجر، ضُرب و أُذوي و شتم و أتهم بالجنون والسحر والكذب، فلم يكل ولم يمل ولم ييأس.

بل كان صابراً محتسباً موقناً بنصر الله له، فكان له هدف وغاية ورؤية، حتى أتم الله له الدين وجاءته الوفود من كل أنحاء الأرض يعلنون إسلامهم، فإياك أن تخش الفشل، فالعظمة لا ينالها أي إنسان

اعلم أن مدة بقائك في الدنيا، أيام قليلة مهما طال، وأنت عما قريب ستموت، فتنصب أجلك بين عينيك وتستعد للموت، وتقدر نزوله بك في كل وقت، وإياك وطول الأمل، فإنه يميل بك إلى محبة الدنيا، فأرض الأمل مكانها القلب. فإن زرعت في أرض القلب، أثمرت ثمرة محبة الدنيا، ومن هذه اللحظة يبدأ الخسران، لأن القلب إذا انشغل وتعلق بمحبة الدنيا، ثقلت عليه الطاعة و الإقبال على العبادة والتجرد لطريق الآخرة، وفي تقدير قرب الموت وقصر المدة الخير كله. واحذر كل الحذر من الإهتمام بأمر الرزق، وكن واثقاً بوعد ربك، وتكفله بك، حيث يقول تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)، فأنت من جملة الدواب.

ومما يدل على خراب القلب، اهتمام الإنسان بما يحتاج إليه في وقت لم يخرج من العدم، كاليوم المقبل والشهر الآتي.

الشباب معنى في النفس، فيظهر في الجوارح، فلا يزال الشاب شاباً حتى يقول: اكتهلت، فيظهر عليه.

إن خالد بن الوليد -رضي الله عنه- فتح البلاد والأمصار وأسقط الإمبراطوريات، وعمره كان قد تخطى الستون، ومثله عمرو بن العاص، وأمثالهم من السلف كيوسف بن تاشفين، وموسى بن نصير الذي جاهد وعمره ثمانين سنة، و بقي ابنه مخلد الذي استشهد وعمره قارب السبعون وغيرهم كثير.

واعلم أخي العزيز أن طول العمر مع حكمة العقل والساداد في الرأي وحسن التدبير، وبعء النظر وطول الآنة، تحقق للمرء ما لم تقدر عليه السيوف المجتمعة، وروض نفسك على المسامحة والعفو، وبذلك تحفظ قلبك من المنغصات والأحقاد. واترك لخصمك أن يخطئ، حتى يقيم الحجة على نفسه، قبل أن تقيمها أنت عليه، وادفعه إلى حال لا يستطيع معها تجنب الندم وملامة نفسه، وهنا سيُقبل عليك ويرجوا عفوك و غفرانك، لأنه إذا أبى الاعتراف لك بالخطأ فقد خسر نفسه أمام نفسه.

وإن أقر بخطئه كسب نفسه، وكسب صديق يقبل العفو والصفح ويتجاوز عن خطأ الإخوان، فعليك بذلك فهي مجربة فدرّب نفسك عليها

ينبغي لك أخي الحبيب، إذا أدركك ملل أو لحقك فتور، فلا يحسن بك أن تستجيب له، وتتوقف عن عملك أو مذاكرتك أو تحصيل علمك. بل غالب فتورك ومملك حتى تتغلب عليه، فتزول عنك ظلمته، ويشرق في قلبك شمس الهمة والنشاط.

فإذا جاءك النعاس، ودغدغك الفتور منه، فغير هيئتك التي أتى عليك بها، فإن كنت قاعدًا، فقم واجلس إن كنت مضجعًا، وتناول شيئًا لطيف رطب، اتل القرآن، أبدل الكتاب، أو الموضوع، فكل جسم له صلاح وكل نشاط له مفتاح، امضغ علكة، امشي خطوات وغيرها من الأمور التي تستعين بها على التخلص من النعاس أو الفتور وأكمل ما أنت فيه.

فقد كان الإمام محمد بن الحسن الشيباني، يضع كثير من الكراريس حوله، فسئل، فقال : إن العلم ثقيل، فانظر في هذا، فإذا ثقلت أخذت آخر. وقد كان يقول محمد بن سيرين (العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل شيء أحسنه)، أقول بلا إفراط ولا تفريط وبالتحديد الأولوية ف العلوم، فالأفضل فالأفضل وهكذا. وقال الخطيب البغدادي (العلم كالبحار، المتعذر كيلها، والمعادن التي لا ينقطع نيلها، فاشتغل بالمهم منه، فإنه من شغل نفسه بغير المهم، أضر بالمهم).

اعلم أخي الحبيب، أن الأيام تبسط ساعات ودقائق، والدقائق تبسط أنفاسًا، وكل نفس هو خزانة لك يوم القيامة، حتمًا ستموت وتؤمر بفتح هذه الخزانة لتقدم لربك ما خزنته في الدنيا.

فاحذر أن يذهب نفس من خزانتك بغير شيء، فتأتي يوم القيامة أمام ربك، بخزانة فارغة، ليس فيها إلا تفاهات الفيس بوك أو رسائل اليوتيوب، فتستحق العقاب وتقع عليك الندامة.

فانظر في كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب؟ فلا تفارقها إلا وقد ملئتها بأشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك، ودرّبها على أشرف ما يكون من العمل وأحسنه وابعث إلى صندوق القبر، ما يسرك ويرفع رأسك أمام رسول الله شرفًا وليس سوء أدب.

فإن رسول الله حتمًا يا صديقي سيفتخر بك، ويعملك ويسقيك بيده الشريفة شربة تزال بها ألم مشقتك وتعبك في هذه الدنيا، وعليك يا صديقي بمطالعة سير الصالحين وعلومهم، فإن فيها ما يعينك ويشحذ همتك ويجبر خاطرك ويحرك عزيمتك للجد والتعب والصبر على مشنقات وأزمات الحياة. فالاستكثار من مطالعة ومذاكرة أحوالهم ومعرفة أخبارهم هو رؤية لهم وصحبة معهم، ولا تستهن بأي كتاب أو معلومة، فقل ما يخلو كتاب من فائدة.

قال الإمام بن القيم (النهمة في العلم، وعدم الشبع منه، من لوازم الإيمان، وأوصاف المؤمنين).

- وقال الطبري (ينبغي للإنسان أن لا يدع اقتباس العلم حتى الممات).
- وقد تكررت الأخبار عن العلماء في القراءة أثناء المشي والآن بعد تطور الزمان، أصبح لزاماً عليك يا أخي الحبيب أن تستفيد من هذه الأوقات التي تضيع منك في السيارات والسفر والمواصلات، أبسطها اشغل نفسك في هذه الأوقات بذكر الله، أو تلاوة القرآن أو النظر في كتب العلم، فإذا أحسنت استخدام أوقاتك الضائعة، فسوف تضيف إلى وقتك وعمرك، عمراً جديداً.
- فقد كان الشيخ طاهر الجزائري يحمل بعض ما لطف من الكتب وخف حمله، في كفه أو جيبه، ليقرأ فيه حيث تيسرت له القراءة، لئلا يضيع شئ من وقته دون فائدة.

- كما كان يحمل أشياء أخرى من ضرورياته، وكان الشيخ حريصاً على وقته، وكان يحب شرب القهوة، فيجهز ما تكفيه لأسبوع، لئلا يضيع وقته، وكان شربه لها للاستعانة بها على السهر والنشاط، لا للمتعة والتفكه بها.
- وكان سليم الرازي قد حفى عليه قلمه، فإلى أن قطه وبراه، يحرك شفتيه، فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم، لئلا يمضي عليه زمان وهو فارغ.
- أرأيت أخي لما شغلت يده حرك شفتيه بذكر الله، لئلا يذهب الزمان فارغاً بغير عمل ولا طاعة، هؤلاء رجال أرادوا ملء خزاناتهم، وأنت؟! ألا تريد أن تكون مثلهم؟ أتريد أن تقف أمام ربك بلا خزانة ولا عمل؟ ماذا ستقول له؟ ما مبرراتك وأعدارك؟

قال الإمام الكوثري رحمه الله (إن الكتب لا تقل أهمية في استنهاض الهمم عن الأساتذة الأفاضل، حيث لا يصل إلى كبار الأساتذة إلا آحاد، وأما الكتب فتصل إلى الأيادي كلها، فتثمر ثمرتها، عند أصحاب القابليات الفطرية).

من هنا يجب أن نربي أبناءنا على حب الكتاب، فلا يليق بك أبداً أن تبدأ في بناء حياتك الزوجية وترتب شقتك، ولا تجعل مكتبة صغيرة بها بعض الكتب، كيف تنتجب طفلاً يحب الكتاب وهو لم يرى كتاباً واحداً في بيته.

ولا تمنع ابنك عن القراءة في كتاب أنت ترى أنه تافه أو سخي، فقد يكون ذلك الكتاب هو مفتاح له ليدخل عالم القراءة أو يلج عوالم أخرى قد تفضلها فيما بعد.

فالذائقة تختلف من شخص لآخر، فإنك إن أجبرته على نوع معين من الكتب وكانت مملة، فبذلك تكون قد دمرت لديه حب القراءة، فلا بد أن نرتقي بأطفالنا درجة درجة، فغرس عادة القراءة في البداية هو الطريق الأمثل للتنقيف الاجتماعي ولنهضة الأمة .

الكتب بشكل عام، أكثر خلودًا منا نحن، فحتى أسوء الكتب تخذ مؤلفيها لسبب رئيسي، وهو أن الكتب تحتل مساحة حسية أصغر ممن كتبها، فغالبًا ما ترقد على الرفوف، تمتص الغبار بعد فترة طويلة، من تحول مؤلفها نفسه إلى كومة رماد تحت الأرض.

وفي الحقيقة هذا النوع من المستقبل أفضل للشخص من خلوده في وجدان أقاربه وأصدقائه بعد مماته، فالكتاب هو الولد المخد للعالم، لذلك وجب عليك صديقي الحبيب، وأنت تقلب صفحات الكتاب أن تتخيله كجرة تحتوي رماد المؤلف وعلى هذا الخيال، ستعتبر المكتبات ومعارض الكتب مقابر لإحياء، وليست مقابر أموات.

فإنهم يتنفسون كلمات تُحيي بداخلك الروح، وترفع عنك جهل النفس وفضاظة الطبع، فمع هذا الزمن السريع كثير الأحداث، نتصوره بعد أن امتلئ بالشاشات والسماعات ومن دون كتب ورقية، أو أن يصبح مجتمع يعتبر اقتناء الكتب كمارسة الكيمياء ف أول اكتشافها عندما كانت تمارس في سراديب ومقابر الحضارة، فأخشى أن يكون هذا العالم التكنولوجي الآن المزدهر حضاريًا المليئ بالإنجاز العلمي، يصبح خالي من الروح وتكون إنسانيته آلية، تركت حريتها بمجرد أن تخلت عن الكتب .

مكانة عمالقة الفقه

ذكر ابن كثير رحمه الله:
أنّ مجلس الخليفة نظام الملك كان عامراً بالفقهاء والعلماء، بحيث يقضي معهم
أغلب أوقاته،
ف قيل له: إن هؤلاء قد شغلوك عن كثير من المصالح!
فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي ما استكثرت ذلك

"في ائتلاف القلوب أمر أغمض، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحظة في صورة، ولا حسن في خُلق وخلق، ولكن لمناسبة توجب الألفة والموافقة، فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع، والأشياء الباطنة خفية، ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها".

"الإنسان قد يُحِبُّ لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مأل، بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية.

ويدخل في هذا القسم الحب للجمال، فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها، وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله، بل هو حب بالطبع وشهوة النفس". أبو حامد الغزالي

قال رجل للفقير الزاهد محمد بن واسع الأزدي رحمه الله: "إني لأحبك في الله".
فقال له محمد: "أحبك ما الذي أحببتني له". ثم حوّل محمد بن واسع وجهه، وقال:
"اللهم أني أعوذ بك أن أُحَبَّ فيك وأنت لي مبغض".

يكثر من الناس عتاب الناس على تقصيرهم وخذلانهم وتقلبهم وعدم الاهتمام بحالهم، وعدم الإعانة لهم على نوائب الدهر... الخ. ومن تأمل حال الناس علم أن ذلك حالهم كلهم، والعاقل الذي عرف حقيقة الدنيا وأهلها، لا يعاتب أحدًا، وإنما يثمن الإحسان ويعظمه أينما وجده، ويتغافل عن التقصير وأهله.

"اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يُوجب التحاب والتألف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته".

لو علم الإنسان ما في حسن الظن والتغافل والتماس الأعذار من المسامحة العظيمة من راحة خاطر، وسلامة القلب من الهموم والغموم، بل والصدقة الجليلة على النفس قبل الآخرين، لما انشغل لحظة واحدة في سوء الظن أو الاسترسال مع الخواطر السلبية والتوجسية تجاه الآخرين.

لا يوجد شيء أصعب ولا يقارن من أن يخدع الإنسان نفسه، فهو من أكبر وأعظم المراوغات و الخداعات التي ممكن أن تحدث، لأن خداع النفس أمر خطير ياترى لماذا؟

لأنك يا أخي الحبيب، لا تمارسه بين طرفين مختلفين، بل مع نفسك أنت، والخداع هنا يأخذ أشكالاً مختلفة الطرق، مثلونة وملتوية وغامضة جداً، والهدف الوحيد هو التبرير لنفسك من أجل تحقيق ما تشتهييه وتحبه والتي تظن أن فيه مصلحتها وراحتها وسعادتها وحظوظها، البديهي أن الإنسان عندما يريد الخداع فيكون من أجل مصلحته الشخصية، وإلحاق الضرر بالطرف الآخر، فيفوز بمصلحته ويضيعها على أخيه، لكن في هذا النوع من الخداع، لا يوجد إلا طرف واحد فقط، هو أنت ونفسك التي بين جنبيك، والتي حذرك النبي منها، لأنها الصديق الملاصق لك فهي أعلم بمدخلك ونقاط ضعفك، فتريد أن تصل إلى راحتها المزعومة على حسابك أنت، ولأنها تعرفك جيداً فلا تستطيع أنت مقاومتها، لذلك سيصعب عليك تمييز وجه المنفعة بوضوح بل دائماً تتخذ معك حوار الغموض والتساؤلات تثير بداخلك الأسئلة ثم تترك وتعود إليك مرة أخرى، فتبرر لك كل أفعالك وأخطاءك، فبذلك تقع في المضرة ولا تشعر بذلك، فتزین لك كثرة النوم من أجل أن تضيع عليك أوقات العمل والصلاة والمذاكرة، و تتكهن وتوسوس لك بأنك تحتاج إلى راحة، وأن راحة الجسد مطلوبة، إلى أن تضيع عليك ما خطط عقلك له. وتكرار هذا السلوك يصيبك بحالة من السكر والإدمان، فلا تستطيع الإستيقاظ منه، ولهذا ما من شيء يستحق التوجس منه مثل التبرير للنفس وتزيينها، وما من شيء يستوجب المحاسبة مثل محاسبة نفسك، والنجاة من شباك هذه النفس وحيلها هو معرفة طرق دخولها لعقلك، ثم الاستعانة بالله على أن يعينك على مجاهدتها والإلتزام بقواعد الدين، ومعرفة حدود الشرع وهديه، والاستعانة بألة العقل والحديث معها بمنطق العقل، وتذكيرها دائماً بمصير كل من اتبع أوامرها وصار عبداً لها، فتخوفها، بذكر نهاية كل من اتبع هواها. فالسعيد من وعظ بتجاربه السابقة وتجارب غيره، والمجنون هو الذي يمرر ممارسته الخاطئة وينتظر نتائجاً مختلفة كل مرة.

كان سخاء النفس بالإنفاق على الكتب، دليلاً على تعظيم العلم، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس، لأن العلم لا تطلبه إلا النفس الطيبة الشريفة، فإن الله لا يؤتي علمه إلا لمن أحبه، فمن قام بحق هذا العلم، بارك الله له في علمه وأورثه علم ما لم يعلم، ومن لم يحمى العلم سخط الله عليه وسلبه منه، ثم يجعله حجة عليه يوم القيامة، فإن أول ما تسعر النار تسعر بعالم، ولأن الكتب هي إحدى وسائل التعلم، فأخذت قدرها وعظمتها من عظمة العلم، ولأن العلم بذرة لا تنبت بحق إلا في النفس الطيبة، فكان الإنفاق على الكتب دليل واقعي على سخاء النفس، فأبي نفس هذه التي ترضى بإنفاق أموالها التي بذلت مجهود في جمعها من أجل بضعة أوراق، لن تسد له جوعة ولا تروي لها ظمأه، ولا تقوي لها جسداً ولا تزين لها مظهرًا، فلا يخرج هذا الفعل إلا من نفوس شريفة ملائكية فقهت قدر العلم وقدر الكتب .

علم ابنك الصدق كما تعلمه القرآن، ابعدته عن الصحبة السيئة، فما من إفساد يحدث في الأرض إلا بهؤلاء، اهتم بطعامه وشرابه الظاهري فإنه قوت جسده، وبتعامه وشرابه الباطني فإنه قوت لروحه، يتقوى به على العبادة والعلم، أدبه في خفاء ليس أمام أصحابه، فيهون في أعينهم مما يجعله يحمل في قلبه الكره لك، وحبب إليه العلم قدر المستطاع، بل ونشأه على توقير العلم والعلماء وتعظيم شأن الكتاب، وأنه بهذه الأوراق يرتفع إلى أعلى عليين، واجعله لا يهتم بالنظر إلى أهل الدنيا فإن أصحاب النفوس عظيمة القدر لا تنظر إلا إلى معالي الأمور، ولا ترى العظمة إلا فيما عظمه الله ورفع شأنه، وليس شأن في هذه الدنيا أعظم من العلم والعلماء.

فاغرسوا هذا في نفوس أولادكم قبل أن تغرس في نفوسهم التعلق برعاع الناس وأسافلهم، وكل لبيب بالإشارة يفهم.

ربما يقتبس الكاتب المعنى من كلام غيره، ثم يكسوه بأبهى حلةٍ لفظيةٍ من عند نفسه ومن فهمه العميق، فيظهر كلامه أو مؤلفه كأحسنٍ ماتراه، فيشتهر كلامه وكتابه عن المؤلف الأول الأصلي

فكم من (معنى) شريفٍ أخرجهُ صاحبه عارياً من (لفظٍ) يُزَيِّنُهُ ويُجَمِّلُهُ، فيغضُّ الكثيرُ أبصارَهُم عنه، حتى يتطوَّع غيره بكسوته وتحليلته بالألفاظ الشيقة الجميلة السهلة العبارة، فيُنسَب إليه ويمدح عليه. وإنما يفتن لذلك حذَّاق أهل النَّقد والتنبُّع!

آداب العلماء

قال المزني رحمه الله: سمعني الشافعي يوماً وأنا أقول: فلان كذاب، فقال: يا أبا إبراهيم اكسُ ألفاظك أحسنها، لا تقل فلان كذاب، ولكن قل: حديثه ليس بشيء. أقول: لأن إتهام المسلمين بالكذب أمر عظيم وتهمة كبيرة، بها يفقد الإنسان قدره بين الإخوان، ويُحقر قدره أمام الرجال، ولا يُتهم المرء بالكذب إلا إذا صار ديدناً له في كل شئون حياته، واشتهر بين أهله بذلك، فنأى بنفسك عن التلفظ بهذه الكلمات، وتخير أحسنها وأطفها على النفس .

قال الإمام مالك رحمه الله:
 "كانت أُمِّي تُعَمِّمُنِي وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه". أقول:
 لأن العلم عظيم، ومزاقة كثيرة وخطيرة، فإن لم يتسلح المرء بأدب وتقوى ودين،
 استعمل هذا العلم في غير موضعه، فأخذ من الحيل الفقهية ما يبرر ويحلل به
 أفعاله ويحرم به أفعال غيره، ويلبس على العباد أحكام دينهم فيكون كحمار بني
 إسرائيل يحمل أسفاراً، فهل رأيت حماراً عرف قيمة ما يحمله، وهكذا المتعلم بلا
 أدب كالحمار حمل أسفاراً وما عرف قلبه ما فيها.

عشان تكون شخص إيجابي لازم تفكر دائماً بطريقة فيها تفاؤل وثقة في الله، طريقة تفيد بها نفسك وتفيد بها غيرك، لابد أن تفكر وتبرمج عقلك دائماً على نفع نفسك و الآخرين، أن تكونوا كأصحاب السفينة منفعة أعلاها وأسفلها متبادلة، لا تجعل همك هو منفعة نفسك ومصالحتك فقط، فإن السعيد حقاً هو من أحب لغيره كما يحب لنفسه دائماً مستفيد من تجارب الماضي متحمس لحاضره متفائل بمستقبله، فدايماً الإنسان الإيجابي هو الذي يرى المنحة في المحنة، هو الذي يقلب السيئة إلى حسنة ينظر إلى السقطة ويعتبرها تجربة ويتذوق المرارة ويرى فيها الفائدة والشر خير، لأنه مؤمن بقول الله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]، فتقته بحكمة مدبر الأمور تنزل السكينة على قلبه، اعقد العزم و اشرع في العمل، ثم توكل على الذي لا يضيعك، فما ضاع من له رب عظيم حكيم رحيم كريم .

كن عنصرًا فعالًا أينما وقعت نفعت، و أينما بُذرت أنبت، فستجد الحياة تنحاز لك وتميل إليك.

فإن من سنن الحياة أنها تميل إلى كل من يسعى لعمارته كجاذبية الأرض، لأن الله خلق الحياة وفق سنن كونية لا تتغير، فالذي يسعى سيكون سعيه مشكورًا في الدنيا والآخرة، ومن جاء بالحسنة فله خير منها، فمن جد وجد ومن سار على الدرب وصل.

والقاعدة عظيمة النفع جليلة القدر التي لا بد أن تتمسك بها وتجعلها أمامك، قول ربك لك: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي عبدي ما يشاء) فقد جعل ظنك به غير محدود، و يعلمك أن تجعل ظنك فيه على قدره تعالى، ولأن الله لا يحيطه قدر فكان ظننا فيه لا نهاية له، لذلك اهتم رسول الله في تربيته للصحابة على زرع الأمل والتفاؤل، فكان دائمًا يتفائل و يبث فيهم الكلمات الإيجابية وهم في أصعب المواقف. ففي غزوة الخندق وقد أحاط الأعداء بهم من كل ناحية تراه يقول لهم فتحت الروم وفتحت فارس، تتعجب صديقي وأنت تقرأ ذلك وتقول في نفسك الأولى أن يطمئنهم بالنجاة من هذا الحصار، ثم بعد النجاة يبشرهم بالمستقبل، لكن رسول الله كان نموذج متكامل للإنسان الإيجابي المتفائل إلى أبعد الحدود، فكانه يقول لهم ستفتحون الروم وفارس، إذا سيكون من باب أولى أن الله سينجيك من هذا الحصار، فلا تخافوا ولا تهنوا فأنتم الأعلون.

وقد وضع لنا رسول الله كيفية بناء الأمم، وذلك من خلال بناء النفوس القوية الواثقة بالله، فإن الأمم التي تبني نفوسًا هي التي تقود العالم

كيف تستفيد من قراءتك؟!

- الدقة في اختيار الكتب التي تنوي قراءتها، لتحقيق الفائدة بالفعل .
- نَوِّع قراءتك في مختلف المجالات، أقلها أن تلم بأساسيات كل علم والأمر الهامة فيه .
- ركز على تخصصك، لتتزوّد منه بعلم أكبر، فكلما ازددت في تخصصك، سبقت غيرك من أقرانك .
- لا تقرأ وأنت مستلق، فالقراءة عمل جاد جدًّا، فالاستلقاء يجلب الكسل والنوم .
- اقرأ ببطء، إذا كانت المادة العلمية للكتاب تحتاج إلى تركيز وانتباه شديد وتعمق في الفهم .
- اقرأ بصمت، فهذه القراءة أسرع وأفضل، وأقل إجهادًا، وتزيدك تركيزًا .
- دوّن ما يطرأ في ذهنك من أسئلة، وابدأ عن إجابتها .
- دوّن ملاحظاتك الهامة وتعليقاتك ونقدك، فلا بد أن تكون قارئًا ناقِدًا خبيرًا، تميز الصحيح من الفاسد من الأقوال .
- اكتب نفايس وفرائد قراءتك، و اجمعها ف كشكول منفصل، لخص ما قرأته بطريقتك وفهمك، وبذلك تصنع مؤلفك الخاص بك .
- القراءة أولاً وأخرًا .. ولا تنسى شعارنا (مع المحبرة إلى المقبرة) .

كيف تستغل وقتك بفاعلية؟!

- استمتع بكل عمل تقوم به، ولا تلتفت لرأي وتقييم الناس لعملك .
- تفائل .. كن إيجابياً، كما كان نبيك محمد، فالتفائل صفة الأنبياء .
- لا تضيع وقتك، ندماً على فشلك أو إخفاقك .
- اقرأ دائماً، فإنها طريق السعادة والراحة النفسية والقلبية.
- قيم نفسك وعاداتك كل فترة، وحسن من نفسك دائماً.
- اجعل لسانك رطباً بذكر الله، ولك أن تتخيل كم السكينة والراحة والهدوء النفسي الذي سيتجلى على قلبك .
- اجعل مفكرة أو مذكرة هاتفية تسجل بها أفكارك وملاحظاتك .
- اسأل نفسك دائماً، مالذي أستطيع فعله، لاستغلال وقتي الآن؟!

الهوى يُذل المُحب ويُعز المحبوب، لأن المحب يريد الوصال، وقد لا يصل إليه، فتحدث في قلبه غصة وألم ولا سبيل إلى الوصال.
وقد يعد المحبوب حبيبه بالوصال، فتُعقد عُقد القدر، فيظل المُحب يعدد نجوم الليل، فيطيش عقله ويجلس في الطرقات يشتكي، ويقول : أنا مظلوم الهوى، خذوني لقاضي الهوى؟! ولو أخذتموني .. فهل أطيق رؤية الحبيب في قضبان ظالمي العشاق؟ فهو لب القلب ونور العين، وشمس ظلمات الروح .

تحفيزات

قال وراق الإمام البخاري (المسؤول عن كتبه) محمد بن أبي حاتم الوراق :
 "كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر، فلا يجمعنا بيت واحد إلا في القبط
 أحياناً، فكنْتُ أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل
 ذلك يأخذ القِدَاحَةَ فيُورِي ناراً، ويُسْرِج، ثم يُخْرِج أحاديث فيُعَلِّمُ عليها".
 وقال تلميذه الفَرَبْرِي: ((كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة، فأحصيت
 عليه أنه قام وأسْرَجَ يستذكر أشياء يُعَلِّقُها في ليلةٍ ثمانٍ عشرة مرّة))
 وذكر الحُمَيْدِيُّ أنه لمَّا كان مع الشافعي بمصر، خرج في بعض الليالي فإذا
 مصباح منزل الشافعي مُسْرَج، فصعد إليه :
 ((فإذا قِرطاس ودَوَاة، فقلتُ:

مه يا أبا عبد الله!

فيقول: تفكّرتُ في معنى حديث فخفتُ أن يذهب عَلَيَّ، فأمرتُ بالمصباح
 وكتبته)).

قال الإمام النووي موصياً طالب العلم :
 ((ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في أيِّ فنٍّ كانت، بل يُبادِر إلى كتابتها، ثم
 يواظب على مطالعة ما كتبه...)). فقد وضع لنا الإمام النووي قاعدة عظيمة
 تجعل أي طالب علم كاتب ومؤلف كبير، وهو أنه رضي الله عنه وهو طالب كان
 يسجل الفوائد من مشايخه ويذهب لبيته، يلخص درسه ويهذبه بفهمه، ويجعل ذلك
 كتابه الخاص، فعندما تصدر للتدريس كان يدرس للطلبة من ملخصاته وغالب
 مؤلفات الشيخ التي نقرأها الآن من دروسه وهو في طلب العلم.
 فلا تستهين يا صديقي بتلخيصك لدروسك وكتبك، فمنها تستطيع أن تنتج كتاباً
 بإسمك، وعندما تمر في ذهنك خاطرة أو فكرة، فإياك أن تتركها، بل اترك أي
 شئ تقوم به وانهض لتسجيل خاطرتك فإن الفهم عارضٌ يُشبه البرق في وميضه
 يطرأ بخطفة ثم يزول بسرعة، فلا تتأخر في صيده.

إذا أردت فهم أية معينة من القرآن، فتأمل ما قبلها وما بعدها، مرة بعد مرة مع التدبر والفهم ومعرفة غرائب الكلمات.

كل ذلك يساعدك على فهم إعجاز القرآن، وفي هذا يقول التابعي مسلم بن يسار: (إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده).

ويقول الإمام ابن تيمية: (فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى).

ومن هنا كان "معرفة سباق الآية ولحاقها" محط أنظار المفسرين وترجيحاتهم

خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا وقدر فيها العذاب والأسى والألم، هكذا خلقت وخلقنا في كبد، ونوع العذاب وجعل له قدر.

فإنه يأخذ بقدر ما يعطي، ويعوض بقدر ما يحرم، وييسر بقدر ما يعسر، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فترى ساكن الصحراء يشكو قلة الماء، أو الماء الغير صالح للشرب، وساكن الأماكن الراقية المتوافر لديه كل لذات الحياة يشكو سوء الهضم والأمراض أو فساد الأولاد، وهكذا لو تتبعنا الناس، فالكل يخرج من الدنيا وقد استوفى حقه وحظه منها، ولو دخل كل إنسان في قلب الآخر لوجد التوازن بين ما ظهر له وما خفي عنه، ولأشفق على أخيه وحمد الله على ما هو فيه.

فالدنيا في حقيقتها ليس بها غالب ولا مغلوب، فالغالب في ناحية مغلوب من ناحية أخرى، ولو علمنا حق العلم حقيقة الدنيا، لطلبناها بعزة الأنفس، ولسعينا في العيش بالضمير والصدق والأمانة والفضيلة. فالشقاء والسعادة مقسومة قسمة عادلة بيننا، والبصير من رزقه الله وضوح الرؤية القلبية مع اليقين. وفي النهاية تتساوى الأرزاق والأقدار رغم اختلاف المناظر والهيئات والدرجات.

يقول بن سينا (المستعد للشيء تكفيه أضعف أسبابه)

العلم النافع .. يهدب اللسان، ويصوب النظرة، ويعلم التواضع، ويكشف حقيقة النفس ويزيد في مساحة إحسان الظن ويضع في القلب رحمة بالخلق .
الخلل فيما سبق ذكره انتقاص من العلم وبركته ونفعه.
فالذكي هو من يلتقط من يومياته فرصاً تزيد بها همته، ويشحذ عندها ذهنه وتسمو بها نفسه، كل كتاب ينظر فيه، وآية يتلوها ويتدبر في تفسيرها وذكر يردده ولا يؤجله، وعمل بر ينافس غيره عليه، بهذا تزكو الحياة وتطيب، وإلا فلا قيمة والله لعيش تذهب أيامه وساعاته في أكل وشرب ونوم وإمتاع جسد ودفن روح.

قال د/ نائر الحلاق

 من أفضل ما يختصر لك الزمان في طلب العلم حتى تضبط وتفهم، هو تلخيص الكتب والشروح، اعتمد إلى شرحين أو ثلاثة في مجالك المعرفي واطرح في تلخيص ما اخترته، ولا تضجر من ذهاب الوقت، فما يذهب من الوقت هو كسب لأوقات أطول وأطول تنفقها في محاولة التعلم بالطرق التي يسلكها أغلب الطلاب في حياتهم العلمية ثم لا تعود عليهم إلا بقليل من النفع .

مع أن القارئ مطالب بالتفكير فيما يقرأ، إلا أن الكتابة تجعل الكاتب مستصحبًا للتفكير قسرًا أثناء كتابته، لذلك كان أثر الكتابة على التفكير أوضح. فما بالك إذا كان القارئ والكاتب عملهم كلّه هو التفكير والتدبر والتذكر وكتابة الملاحظات والتعليقات، ومع إدمان هذا الأمر تكون الحصيلة المرجوة عظيمة الشأن .

فالتفكير هو بانٍ العقل، ورافع الوعي، ومزهق الجهل، وأساس من أسس قيام هذا الدين، فلن تمر على سورة من سور القرآن إلا وتراها تنبهك على التفكير والتدبر في العالم الكوني المنظور، اقرأ مع التفكير، واكتب مع التفكير، وفكر في أفكارك دائما .

• من أجمل ما قرأته

• يستخدم "برايان تريسي" اسم "الضفدع" ليصف ذلك الشيء الذي يجب عليك فعله لكنك تنفر منه، قد يكون واجباً مدرسياً أو مهمة في مجال عملك أو نشاطاً محدداً يشكل خطوة في نجاحك أو أمراً التزمت به لتحقيق هدف ما لكنه "ثقيل" أو "صعب".

• فكر بهدفك اليوم، حفظ صفحة، كتابة مقالة، قراءة ٢٠ صفحة، كتابة خطتك الأسبوعية، تعلم مهارة جديدة، أو البدء بمشروع مؤجل، مشي ٨٠٠٠ آلاف خطوة، أو حتى إصلاح سبائك المطبخ.

• هناك شيء ما من بين مهام يومك اليوم وأنت تحاول تجنبه، ذاك "الضفدع" الخاص بك، والنصيحة: "ابدأ به والتهمه*!"

هو ليس ما ترغب به لكنه يقربك من نجاحك ويشعرك بالرضا في النهاية. وتذكر أن ما تبقى بعد إلتهام الضفدع قائمة من الأمور لن يكون صعباً إنجازها بما تبقى لك من طاقة و"مزاج"، لأنك ترغب في القيام بها وفي طريقك للنجاح، إن خُيرت بين أمرين فابدأ بالأكبر أو الأصعب أو الأهم ورتب أولوياتك واجعل في جدولك اليومي والأسبوعي البدء بإلتهام الضفدع.

المشتات في هذا العصر أكثر من أن تحصرها، ومن المستحيل أن تبذع في وسط هذا الزخم من المشتات، لذا ينصح للقارئ أن لا يقرأ أمام نهر أو حديقة أو بستان.

فقد كان الإمام الشافعي يحب مدارس العلم في الليل ويكون هدوء الليل أجمع لعقله وقلبه.

فإذا أردت أن تبذع أكثر، فابتعد عن المشتات، فلا تجتمع الرغبة في الحفظ أو كتابة فكرة أو تحرير مسألة، والجوال بجوارك، فيكون انتباهك مشتت في النظر إلى آخر خبر، ومن رد على منشورك أو تغريدتك وهكذا.

ويقول الكاتب الكبير "والتر موزلي" :

"رنين الهاتف من شأنه إجهاض شخصية قيد التشكل، وإجابة ذلك الهاتف سوف يمنع فصلاً روائياً كاملاً من الوجود .

يقول د. ثائر الحلاق

ثلاثة كتب أحسد جدًا من جردها وقيّد فوائدها حسد غبطة وأدعو له ما حييت:

1_ تاريخ بغداد للخطيب

2_ تاريخ دمشق لابن عساكر

3_ سير أعلام النبلاء للذهبي

ولو أن طالب علم قال إنه صاد منها خمسين ألف فائدة فلا تستغرب أيها القارئ ولا تقارب.

طلابنا الأفاضل _ ممن لا يزال في العشرين من عمره _ استعينوا بالله؛ لن يحتاج أحدكم أكثر من سنتين ليقف على هذه الكنوز المعرفية.

منهجيات قرأتها عن الأكابر

خذها مني نصيحة تعينك في مشوارك العلمي :

- لا تحرص كثيرًا على الشيخ أو الأستاذ الذي ينثر المعلومات نثرًا كأنه البحر، وأنت منبهر من قدرته العلمية، وإنما أشدد يديك على الشيخ الذي يعلمك ضبط القواعد العامة وفهمها، ويدربك على مهارة التحليل، ومسالك الاستدلال، وفهم الحجج، وطريقة النقض وقلب الأدلة ..

الأول: كثرة المعلومات تدخل إلى عقلك يبقى منها شيء ويذهب كثير، وما حفظته يكون بطريقة غير مرتبة.

أما الثاني: فقد أعطاك المنهجية فكل معلومة تدخل بعد عملية إدراكية واعية، ومن ثم تستقر في مكانها الصحيح، وترتبط بالمعلومات السابقة عندك برباط وثيق متجانس .

قاعدة ..

إياك أخي الحبيب أن تتركها، بل اكتبها واجعلها أمام عينيك:

- (خير الأمور أდومها وإن قلت)
 - (ما أمرتكم به ، فأتوا به ما استطعتم) أي أقل القليل، بالمداومة والالتزام يصبح عملك عظيم، فإنجازك اليومي الصغير المتكرر مع مرور الأيام يكون كتلة ضخمة من الإنجازات والنجاحات.
- ألا أن أول الغيث قطرة، نعم قد لا يشهد إنجازاتك أحد، ولم تدون في مواقع، ولم يحتفل بها المقربون، و لكن نتيجتها كانت مذهلة، ولها فارقاً كبيراً عن ذلك الذي يترقب الفرص ليضرب ضربته، وهي ليست سوى أمنيات عريضة على وسائد ناعمة.
- فمعظم من تراهم من الناجحين والمبدعين لم يحققوا تلك النجاحات لتفردهم بالذكاء، إنما هو الاجتهاد والمثابرة، وعدم الالتفات لآخفاقات الماضي ..
- فما الحظ إلا نتاج الجهد والتعب والمثابرة .

• من نفائس وفرائد قراءاتي :

□ مهما كان سنك .. انظر إلى الأمام وأنت عازم على اغتنام كل يوم من عمرك

..

□ احذر من أن تثني رقبتك لتتنظر إلى شاب صغير أو فتى يافع، ثم تتحسر على عمرك الذاهب وأيامك المنصرمة، فالموفق من عرف قيمة ساعته التي يعيش فيها ..

فأنت تعيش حياتك لا حياة الآخرين فعش حياتك بما يناسب مبادئك وأفكارك وقناعاتك ولا تلتفت إلى غيرك، عش الطريق الخالد الباقي لك ف الآخرة، وامشي في مسارك الخاص لا مضمار السائرين ..
المهم أن تصل وألا تنقطع وأنت مازلت قريباً من خط البدايات !

• ينفق العاقل ساعاته وأيامه وهو يسعى لإكمال ما عنده من نقص وسد ما لديه من خلل ، ومهما امتد عمره سيبقى ناقصاً .. فكيف بمن يمضي عمره وهو ممعناً في توسيع النقص ومضاعفته ، وهدم كل جميل في حياته وتشويهه؟! .. لا شيء يمنعك من التطور علمياً وفكرياً وثقافياً .. فقط، أعط هذه الأمور درجة عالية من الاهتمام والتركيز .. واستصحب الصبر ، وتدثر بالهمة .. ثم انظر بعد سنوات قليلة أين موقعك من خارطة العلم والمعرفة والثقافة ، وستبهرك النتائج بإذن الله . كل أولئك المبرزين الذين تعجب بهم وتطرب لعلومهم فعلوا ما ذكرته لك ..
ودونك صفحات أبي غدة لترى العجب!

أما حرق الليالي والأيام .. في الترهات ولذيذ المسامرات، وقتل الزمن في المقاهي والطرقات .. والتنادي لمواطن الولايم والمناسبات .. فهذه ستخرجك ولا شك خبيراً بالدنيا ، مليئاً بمتعها ، خلوا من العلوم والمعارف

• نصيحة ألهمتني و شحذت همتي

يعيش بعض الموهوبين من طلاب العلم حالة من العزلة والانكفاء على النفس، ظناً منهم أنه لم يحن وقت التأليف والتدريس والعطاء، متكئين على أن عددًا من العلماء تأخر ظهورهم حتى تمكنوا ثم برزوا. وهذه مخادعة للنفس في هذا الزمن، ووسوسة شيطانية.. كيف وهم يرون صرعى الأفكار المنحرفة ورياح الإلحاد العاتية، وسيول الشهوات الكاسحة تفعل فعلها بالشباب والفتيات، إذا لم تظهر الآن، وتنفع الناس بعلمك.. فاعلم أنك تستكثر من الحجج عليك، وربما فات موعداك، وانطفأت بركة علمك!

• لا تظن أيها القارئ أنني بكلامي هذا أهبط همتك وأدعوك لشيء من التقاعس، ولكن أريد أن أكون واقعية معك ومع هذه الحياة وظروفها وتصاريقها. إنَّ رغبتك في التهام الموسوعات والمدونات الكبرى رغبة شريفة تُشكر عليها، ولكني مع رؤية خلق كثير ممن أراد ولم يفعل، ونوى فتوقف، وعزم فترجع، اختار لك أن يكون مشروعك هو إنهاء المختصرات في مختلف الفنون، وتكرار وضبط ما تستطيع منها، وخصوصاً ما كان له ارتباط بتخصصك.. فإن فُسِح في العمر فدونك الأصول والمطولات عبّ منها ما شئت، وتالله إن ظفرك بإنهاء المختصرات وضبطها لهو نجاح كبير ستعرف قدره في أيامك العلمية القادمة.

تفائل أخي..

لا تظن أن أقدارك تسير بهواك بل تسير حسب مراد الله لك، وكلما أصابك أمر
وكان قاسياً عليك،
فاعلم أن فيه الدواء لك وصلاً لا عوجاج نفسك، لأنك لا تعلم ما الذي يصلحك
ولكن الله يعلم
وتأمل قول الحق سبحانه: [هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ]، فلا تنازع ربك بقلبك وتقول لِمَا يارب
أنزلت بي كذا وكذا؟!
توقف عن تلك المنازعة تكن عبداً موحداً، ثم تلذذ بما أصابك من قدر مؤلم
تكن عبداً ربانياً، وأعلم أن الله لم يخلقك ليعذبك، وإنما جاء بك إلى هذه الدنيا
ليهدبك .

لا تترك الطريق

لا تترك سترة العبادة وإن كانت مرقعة، أنا دائماً لدي فتور في العبادة كل ما أتقرب إلى الله أنتكس مرة أخرى، رغم أنني أحب ربي وأرغب أن أتقرب منه ماذا أفعل؟!

الإمام الشافعي رحمه الله كان يقول :

(سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير، ولا تنتظروا الصحة، فإن انتظار الصحة بطالة)

معنى هذا الكلام: وأنت ماشي عبادتك مليئة بالمطبات وعدم وجود روح في العبادة، أو هناك تقطيع، أو ملل من العبادة، أو ثقل على النفس، ابق متمسكاً بأستار الاستمرار حتى تنال الرحمة

أسقط .. وأكمل .. وأنت تعلم أنك أضعف من أن تكمل

ربنا جل وعلا يقول : [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]

فاكمل طريقك إلى الله حتى لو زحفاً.

- مقصر في الصلاة صلِّ رغم التقصير، لكن لا تقطعها واجتهد.
- حجابك ليس كاملاً ابق عليه، وحاولي تحسينه لكن لا تخلعيه.
- تقرأ القرآن بشكل متقطع ابق على ما أنت عليه، لكن لا تهجره وهكذا في كل العبادات.

ابن القيم رحمه الله يقول :

(لا يزال المرء يعاني من الطاعة، حتى يألّفها ويحبها، فيقيض الله له ملائكة

تؤزّه إليها أزا توقظه من نومه إليها ومن مجلسه إليها)

فإياك وترك سترة العبادة مهما كانت مرقعة، وأعلم أن ربنا جل وعلا لن يتركك أبداً، وسيعينك إذ رأى منك صدق الإقبال عليه والإصرار على الطاعة، وتذكر دائماً قول الله تعالى في الحديث القدسي :

((.... ومن تقرب إليّ شبراً، تقربتُ منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة))

استمسك بالعبادة ولو كنت مقصراً، واستعن بالله ولا تعجز، ولا تترك سترة العبادة.

الخاتمة

اسأل الله العظيم، بحق رسوله الكريم، أن ينفحك أخي الحبيب بما قلته لك، وأن ينور طريقك ويرزقك التوفيق والسداد، وأن يُحَبِّبَ إليك العلم والعلماء، ويرزقني وإياك الإخلاص في القول والعمل، ولنجعله شعارنا وننشره للأمة كلها (مع المحبرة إلى المقبرة)، ولتكن بذرة خير، أينما وقعت أنبتت، واترك أثرًا في قلوب الناس، يذكروك به بعد مغيب شمسك.

.

ومضات إشراقية مع المحبرة إلى المقبرة

دكتور صيدلي عمرو محمد السيد عبد الرحمن.

من مواليد الجيزة، ١٩٨٨ م

بكالوريوس العلوم الصيدلانية جامعة الأزهر.

دبلوم في الخط العربي من مدرسة السعيدية للخطوط

العربية بالجيزة

حاصل على إجازات من منصة هداية التابعة لدار الإفتاء

المصرية

حاصل على دورات في طب الأطفال، والصيدلة

الإكلينيكية

مهتم بالقراءة الدينية والطبية والثقافة العامة.

تأثر بالقراءة في تراث الإمام ابن الجوزي والشوكاني وابن

حزم الظاهري وابن عبد البر المالكي واعتبرهم شيوخه

الملمهمين. اسئل الله أن ينفعني بهم في الدنيا والآخرة.

دار
للنشر والتوزيع (الإلكتروني)
ياقوت

دكتور: عمرو محمد السيد

ومضات إشراقية

دار ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني